الذاكرة العربية

دورية علمية مُحكّمة – العدد الثامن – ٢٠٢٤

ISSN 2735-4210

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الذاكرة العربية

دورية علمية مُحكّمة

مركز دراسات الحضارة الإسلامية
Center for Islamic Civilization Studies

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

ذاكرة العرب. ع٨ (٢٠٢٤) - . الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، قطاع البحث الأكاديمي، مشروع ذاكرة العرب، ٢٠٢٤.

مجلدات ؛ سم.

سنوية

ردمد 2735-4210

١. العرب-- تاريخ-- دوريات. ٢. الثقافة العربية-- دوريات. ٣. الحضارة العربية -- تاريخ -- دوريات. ٤. الدول العربية-- تاريخ-- العصر الإسلامي-- دوريات. ٥. الدول العربية -- تاريخ-- دوريات. أ- مكتبة الإسكندرية. قطاع البحث الأكاديمي. مشروع ذاكرة العرب.

ديوي- 909.04927 2020424354276

ISSN 2735-4210

رقم الإيداع: 24419/ 2024

© مكتبة الإسكندرية، ٢٠٢٤.

الاستغلال التجاري

يحظر إنتاج نسخ متعددة من المواد الواردة في هذه الدورية، كلها أو جزء منها، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن كتابي من مكتبة الإسكندرية. وللحصول على إذن لإعادة إنتاج المواد الواردة في هذه الدورية، يُرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية، ص.ب. ١٣٨، الشاطبي ٢١٥٢٦، الإسكندرية، مصر.

البريد الإلكتروني: secretariat@bibalex.org

طُبِع بمصر

الإشراف العام

أ. د. أحْمَد عَبْد الله زَايِد
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس قطاع البحث الأكاديمي

د. مَرْوَة الوَكِيل

رئيس التحرير

د. مُحَمَّد الجَمَل

هيئة التحرير

د. رَضْوَى زَكِي

د. شِيرِين القَبَّانِي

المراجعة اللغوية

د. مُحَمَّد حَسَن

دِينَا عِيسَوِي

مراجعة التنسيق

مَرْوَة عَادِل

معالجة النصوص

صَفَاء الدِّيب

التصميم الجرافيكي

مَهَا رِفْعَت

الإسكندرية، ٢٠٢٤

مجلة ذاكرة العرب دورية علمية مُحكّمة تهتم بالتراث الثقافي والتاريخي والحضاري للبلدان العربية والإسلامية، وتهدف إلى التأكيد على أهمية استعادة الذاكرة العربية للحاضر العربي الراهن، وتصدر عن مشروع «ذاكرة العرب» بقطاع البحث الأكاديمي بمكتبة الإسكندرية.

الهيئة الاستشارية

أ. د. أشرف فراج (مصر)

أ. د. ألبرشت فوس (ألمانيا)

أ. د. أيمن فؤاد سيد (مصر)

أ. د. حسام الدين شاشية (تونس)

أ. د. حسن محمد النابودة (الإمارات)

أ. د. حسين العمري (اليمن)

أ. د. خالد زيادة (لبنان)

أ. د. خوسيه ميجل بوريتا (إسبانيا)

أ. د. ديفيد نيكول (إنجلترا)

أ. د. سليمان الذييب (السعودية)

أ. د. صلاح جرار (الأردن)

أ. د. عبد الرحمن السالمي (عمان)

أ. د. عبد القادر بوباية (الجزائر)

أ. د. عبد الواحد ذنون طه (العراق)

أ. د. محمد أبطوي (المغرب)

أ. د. محمد الأمين ولد آن (موريتانيا)

أ. د. مصطفى موالدي (سورية)

أ. د. نيقولا ميشيل (فرنسا)

قواعد النشر

- ترحب المجلة بنشر البحوث الجديدة في كافة مجالات دراسات التراث الثقافي والتاريخي والحضاري للبلدان العربية والإسلامية.
- يجب أن يتسم البحث بالأصالة والابتكار والمنهجية، وأن يكون البحث جديدًا ولم يُنشر من قبل بأي صورة من صور النشر، وغير مستلٍّ من كتاب أو رسالة جامعية (ماجستير، دكتوراه).
- يتراوح عدد كلمات البحث بين ٦٠٠٠ و٨٠٠٠ كلمة.
- يُستخدَم خط Traditional Arabic للبحوث باللغة العربية بحجم ١٦ للمتن، و١٤ للهوامش، ومسافة واحدة بين السطور.
- يُستخدَم خط Times New Roman للبحوث باللغة الإنجليزية بحجم ١٤ للمتن، و١٢ للهوامش، ومسافة واحدة بين السطور.
- توضع الهوامش والإحالات في نهاية البحث إلكترونيًّا، ويكون تسلسل أرقام الهوامش متتاليًا متسلسلًا في البحث.
- يرفق قائمة بالمصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يراعى اتباع منهجية النشر وقواعد كتابة المصادر والمراجع المتبعة في مكتبة الإسكندرية، ويلتزم الباحث بإجراء أي تعديلات ببليوغرافية حال طلبها.
- يرسل الباحث السيرة الذاتية مختصرة، ومزودة ببطاقة الهوية وبيانات اتصال كاملة.
- تحكيم الأبحاث سري ومعد على نموذج يخضع للمعايير العلمية الأكاديمية، وقرار إجازة البحث للنشر أو رفضه هو قرار نهائي. في حال الإجازة مع التعديل، يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة وفق المدة المحددة.

التواصل وإرسال الأبحاث عبر البريد الإلكتروني للمجلة:

arabmemory.journal@bibalex.org

الفهرس

تقديم ٧

التصوف في بلاد الشام في عصر الدولة النورية وأثره على منشآت التصوف في مصر (٥٦٥هـ/١١٧٠م) (الخانقاه الصلاحية أنموذجًا) ٩

أ. د. عبد الله كامل موسى عبده

أثر الفقيه الزاهد أبي بكر الرازي الحنفي (ت ٤٩٣هـ / ١١٠٠م) في الحياة العلمية والاجتماعية بالإسكندرية ٣١

أ. د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا

المغاربة ودورهم في بعث المذهب المالكي بالمدينة النبوية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧- ٩٢٣هـ) ٥٧

أ. د. ياسر أحمد نور

السفارات المتبادلة بين صلاح الدين الأيوبي وجي دو لوزينيان في ضوء مصادر القبارصة ٧٥

أ. د. إبراهيم سعيد فهيم محمود

النظم العسكرية في المغرب الأدنى في عهد الحفصيين (٦٢٥-٩٨٢هـ/ ١٢٢٨-١٥٧٤م) ٩١

د. محمود جابر مجلي

رحلة صوفي أندلسي في البلاد العربية: حضور الحرّالي المراكشي (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤١م) في الدراسات المعاصرة ١٢١

د. خالد محمد عبده

حسن عبد الوهاب وجهوده في دراسات الآثار والحضارة الإسلامية (١٨٩٨-١٩٦٧م) ١٣٥

د. محمد عبد المنعم الجمل

الجامع الأموي بدمشق، نقلاً عن جوستاف باورنفايند.

تقديم

في إطار اهتمام مكتبة الإسكندرية بأن تكون مركزًا للتميز في إنتاج المعرفة ونشرها، ومكانًا للتفاعل بين الشعوب والحضارات؛ واستكمالًا لرسالتها في صناعة ونشر المعرفة، لتتبوأ بدورها مكانة بارزة في مجال البحث والنشر العلمي، من خلال نشر الكتب والدوريات والموسوعات في مختلف أوجه الثقافة والمعرفة؛ استطاعت مكتبة الإسكندرية أن تؤدي دورها بوصفها مؤسسة دولية رائدة في تطوير مجالَي النشر الورقي والرقمي، وإحداث حالة من الحراك الثقافي والأكاديمي على حدٍّ سواء.

وفي هذا السياق، تُصدر المكتبة العدد الثامن من مجلة «ذاكرة العرب» التابعة لمشروع «ذاكرة العرب» بقطاع البحث الأكاديمي بالمكتبة، وهي دورية علمية مُحكّمة تهتم بالتراث الثقافي والحضاري للبلدان العربية، وتهدف إلى التأكيد على أهمية استعادة الذاكرة العربية للحاضر العربي الراهن. ويعمل مركز دراسات الحضارة الإسلامية -أحد المراكز البحثية المتخصصة بمكتبة الإسكندرية- في هذا السياق على إصدار سلسة كتب متخصصة ترمي إلى تحقيق هذا الهدف.

وتتضمن بحوث العدد الثامن موضوعات متنوعة، منها: التصوف في بلاد الشام في عصر الدولة النورية وأثره على منشآت التصوف في مصر، وأثر الفقيه الزاهد أبي بكر الرازي الحنفي في الحياة العلمية والاجتماعية بالإسكندرية، والمغاربة ودورهم في بعث المذهب المالكي بالمدينة النبوية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، والسفارات المتبادلة بين صلاح الدين الأيوبي وجي دو لوزينيان في ضوء مصادر القبارصة، والنظم العسكرية في المغرب الأدنى في عهد الحفصيين، ورحلة أبي الحسن الحرّالي المراكشي الصوفي الأندلسي في البلاد العربية، وحسن عبد الوهاب وجهوده في دراسات الآثار والحضارة الإسلامية.

أ. د. أحمد عبد الله زايد
مدير مكتبة الإسكندرية

التصوف في بلاد الشام في عصر الدولة النورية وأثره على منشآت التصوف في مصر (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م) (الخانقاه الصلاحية أنموذجًا)

أ. د. عبد الله كامل موسى عبده

مشكاة زجاجية ترجع إلى العصر المملوكي.

التصوف في بلاد الشام في عصر الدولة النورية وأثره على منشآت التصوف في مصر (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م) (الخانقاه الصلاحية أنموذجًا)

أ. د. عبد الله كامل موسى عبده*

مقدمة

يهدف موضوع هذا البحث إلى إلقاء الضوء على نشأة التصوف والخوانق في المشرق الإسلامي خلال القرون الستة الأولى للحضارة الإسلامية؛ حيث استمد التصوف تعاليمه من الإسلام ذاته منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وبلغ أَوْجَه واكتمل في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين من جهة، وحيث نشأت الخوانق في هذين القرنين، وكانت مجرد منشآت معمارية بسيطة تفتقر إلى الأسس والقواعد المعمارية المنتظمة حتى ظهر أحد مشايخ الصوفية الإيرانيين، ويدعى أبو سعيد بن أبي الخير، والذي بفضل منه، وُضعت أسس وقواعد بناء الخوانق من جهة أخرى. ثم ازدهرت عمارة الخوانق في بلاد الشام في عصر الدولة النورية، ومن ثم انتقلت إلى مصر على يد الوزير ثم السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، الذي أرسى حجر الأساس للخوانق فيها، فحوَّل دار سعيد السعداء إلى الخانقاه الصلاحية «دويرة الصوفية» (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م).

كما يلقي موضوع هذا البحث ضوءًا جديدًا على الخانقاه الصلاحية (أثر رقم ٤٨٠)، والتي تقع بخط رحبة باب العيد بالقاهرة في مقابل دار الوزارة. وهو موضوع على جانب كبير من الأهمية، خاصة من الناحيتين التاريخية والآثارية؛ حيث تعد هذه المنشأة المعمارية أول خانقاه للصوفية تشيَّد بمصر الإسلامية. وتكمن إشكالية الدراسة في وجود أربعة تواريخ لتحويل دار سعيد السعداء؛ خادم الخلفاء المصريين، إلى خانقاه، وهي التواريخ التي يمكن عرضها على النحو الآتي:

– الأول، ذكره ابن دقماق، وهو تاريخ سنة (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م)، وذلك بما نصه عند ذكره ناحية «دهمروا»: «... وهي جارية في الأوقاف على الخانقاه الصلاحية دار سعيد السعداء، أوقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة خمس وستين وخمسمائة».

– الثاني، ذكره المقريزي، وهو تاريخ سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)، وذلك بما نصه: «... فلما استبد الناصر صلاح الدين يوسف... بملك مصر... عمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة، ووقفها عليهم في سنة تسع وستين وخمسمائة».

– الثالث، نقله أحد الباحثين، وهو تاريخ سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)، وبعد أن عرض هذا الباحث هذه التواريخ الثلاثة لتحويل الدار إلى خانقاه رجَّح تاريخ (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) الذي ذكره المقريزي؛ حيث وضعه في عنوان الدراسة.

- الرابع، ورد في دليل الآثار الإسلامية الذي أعده المجلس الأعلى للآثار (وزارة الآثار حاليًّا)، حيث جاء أن هذه الخانقاه شُيدت قبل سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م). وعلى هذا الأساس صنفت في آثار الدولة الفاطمية.

هذا، وينقسم موضوع هذا البحث إلى مقدمة وخمسة محاور، والتي يمكن عرضها على النحو الآتي:

- المحور الأول، ويتناول نشأة التصوف وعمارة الخوانق في المشرق الإسلامي.
- المحور الثاني، ويتناول ازدهار التصوف وعمارة الخوانق في بلاد الشام خلال عهد السلطان الملك العادل نور الدين أبي القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر (٥٤١-٥٦٩هـ/ ١١٤٦-١١٧٣م).
- المحور الثالث، ويتناول الخانقاه الصلاحية من حيث الموقع، والمُنشئ، والتخطيط والعمارة.
- المحور الرابع، ويتناول إشكالية تاريخ الخانقاه الصلاحية.
- المحور الخامس، ويتناول شيخ الخانقاه والصوفية وعاداتهم والأوقاف.

أولًا: نشأة التصوف وعمارة الخوانق في المشرق الإسلامي

تعد الخوانق[١] من منشآت التصوف التي تندرج تحت العمارة الدينية، والخوانق جمع خانقاه، والخانقاه لغة: معرَّبة عن الفارسية، ومعناها بيت، وجعلت في بادئ الأمر لانقطاع الصوفية فيها للعبادة والذكر[٢]، وأصلها خانكاه، وهي مركبة من: خانه + كاه = بمعنى المنزل، وكاه لاحقة بمعنى المكان، وحينما عربت أبدلت الكاف الفارسية بقاف عربية، لأنها أقرب في مخارج الألفاظ. وفي ذلك أورد المقريزي عند ذكره «الخوانك»، ما نصه: «الخوانك جمع خانكاه، وهي كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك»[٣].

وفي اللغة أيضًا: الخانقاه: مكان تعبُّد المتصوفة وإقامتهم، ومن الناحية المعمارية تعني رباط[٤] الصوفية، أو بيت الدراويش الذي يجتمعون فيه للذكر والعبادة[٥].

وقد أورد المقريزي فيما يتعلق بنشأة الخانقاه ما نصه: «والخوانك حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من سِنِي الهجرة لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى»[٦].

كما أورد المقريزي ما نصه فيما يتعلق بأول من اتخذها: «وأول من اتخذ بيتًا للعبادة زيد بن صوحان بن صبرة، وذلك أنه عمد إلى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات، فبنى لهم دورًا وأسكنهم فيها، وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره...»[٧].

وتفصيل ذلك أن الخوانق كانت رمزًا صادقًا للإسلام في أَوْج روحانيته، ولا عجب في ذلك، فالخانقاه مقر الصوفية، والصوفية هم المسلمون الذين رقَّت قلوبهم للتقوى، وصَفَتْ نفوسهم، وراعوا الله في أعمالهم الباطنة والظاهرة، ونفعوا غيرهم بإيمانهم، ووجَّهوا الحياة في العالم الإسلامي توجيهًا معينًا[٨].

وترى دولت عبد الله أن التصوف قد استمد تعاليمه من الإسلام ذاته، وليس أدل على ذلك من قول ذي النون المصري: «عرفت الله بالله، وعرفت ما سوى الله برسول الله ﷺ، وكذلك قول الإمام الغزالي: «إن أصول التصوف أكل الحلال، والاقتداء برسول الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وسننه». ومن ثم، يمكن القول بأن التصوف انبثق من الإسلام وتعاليم القرآن والسنة. فمن المعروف أن النبي ﷺ هو الصوفي الأول في رأي الصوفية، وأن صحابته رضي الله عنهم من العلماء والعبَّاد، إنما كانوا يستنُّون بسننه، ويهتدون بهديه، ويؤيد هذا ما ذكره ابن سعد[٩] على سبيل المثال[١٠].

ومما لا ريب فيه، أن المسلمين في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي لم يحملوا اسمًا معينًا، ولا مصطلحات خاصة بهم، ولكن عدَّهم القومُ -وعلى رأسهم القشيري- الرعيلَ الأول لنهضة التصوف. وفي القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي اختلطوا بكثير من البلاد ذات الثقافات الدينية المختلفة والسابقة على الإسلام. وترتب على اتساع رقعة العالم الإسلامي أن اختلفت الآراء وتنوعت، ونشأ جديد في الأفكار والمعاني بعيدة عن الحياة البسيطة الأولى، وعما عُرف في عهد النبي ﷺ حتى شهد هذا القرن تباينًا شديدًا في الاتجاهات الدنيوية من جهة، والاهتمام بالأمور الدينية من جهة أخرى[١١].

وقد تميز صوفية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بالاعتدال، وكانت حياتهم تتمة لمسلك زهاد القرن الأول، وراعوا أحكام الشرع. ولم يكن ثمة فوارق بينهم وبين سائر المسلمين، غاية ما في الأمر أنهم كانوا يهتمون ببعض الأحكام القرآنية أكثر من غيرهم، يدل على ذلك الحلقات التي كان يعقدها الحسن البصري في المسجد الجامع بالبصرة (نحو عام ١٤هـ/ ٦٣٥م[١٢]). وكان بعض صوفية هذه الفترة أكثر مبالغة في الرياضة، وإعراضًا عن الدنيا، وانقطاعًا عن زخرف الحياة وزينتها[١٣].

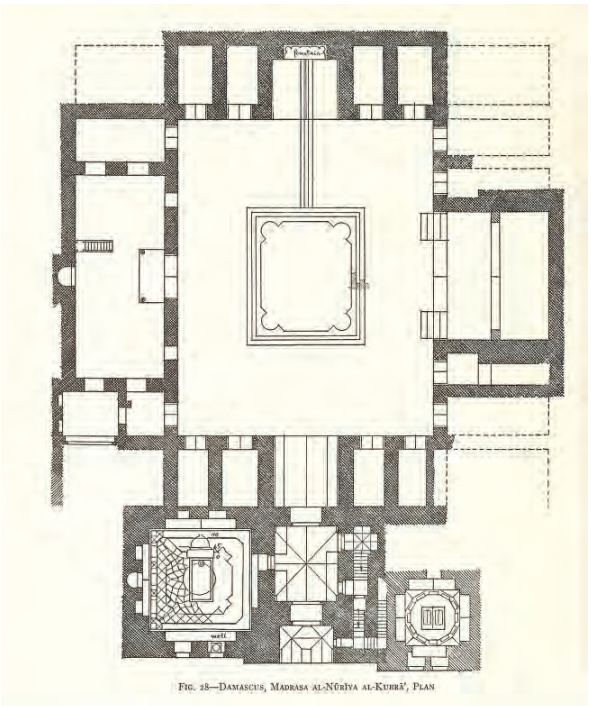

قبة وتخطيط المدرسة النورية بدمشق.

وفي القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، بلغ التصوف أَوْجَه واكتمل. فبعد أن كان مفهومه محدودًا بالزهد والتقوى، وملزَمًا بحدود القرآن والسنة، ومتشبِّهًا بالنبي ﷺ والأولياء في التعبد وإيثار الآخرة؛ أصبح للتصوف كيان عقلي وروحي، وأخذ صوفية هذه الفترة يعبرون عن التصوف بمعانٍ خاصة، وأسلوب معين، وكان لبعضهم آراء معتدلة، وأخرى متطرفة. وقد جذب أقوال وسلوك بعض صوفية هذه الفترة اهتمام الناس، فبدأ الخلاف بين الصوفية والفقهاء. وخلال تلك الفترة ظهرت فرق الصوفية، وكان لكل فرقة مبادئها، وأصولها، وشيخها، وأتباعها، وكان كل فرد يأتمر بأوامر شيخه ومرشدَه. وبذلك أصبح التصوف جماعيًّا ومنظَّمًا بعد أن كان فرديًّا، وكثر عدد الصوفية تبعًا لذلك، وأصبحوا يكوِّنون طبقة هامة في المجتمع الإسلامي، لها تقاليدها، ونظمها، وخصائصها، ومن ثم كانت لهم مراكزهم الخاصة التي عرفت بالخوانق[١٤].

ولقد كانت هذه الخوانق عند نشأتها في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، مجرد منشآت معمارية بسيطة تفتقر إلى الأسس والقواعد المعمارية المنتظمة، حتى ظهر أحد مشايخ الصوفية الإيرانيين، ويدعى أبو سعيد بن أبي الخير، والذي بفضل منه، وُضعت أسس وقواعد بناء الخوانق. ونظرًا

لما بذله أبو سعيد من مساعٍ طيبة لتنظيم الخانقاه، فقد اعتبره القزويني «أبا الخانقاه»، وأن الصوفية جميعهم تلاميذه. وسرعان ما سادت تلك التنظيمات الخاصة بالخوانق أقاليم إيران، ومنها إلى أقطار أخرى، مثل طبرستان. وورث صوفية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ما كان لصوفية القرون السابقة من آراء ومبادئ، وحظوا بمكانة عظيمة عند الحكام[١٥].

وقد نتج عن ازدهار التصوف أن شُيدت الخوانق بكثرة، وحُبست عليها الأوقاف كسائر المنشآت الدينية الإسلامية. وفي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي انتشر التصوف بين الناس على اختلاف طبقاتهم، وأصبح للصوفية تأثير على المجتمع. وخلال تلك الفترة ازدهرت عمارة الخوانق، ففي الشام شُيدت الخوانق بحلب، ودمشق، وبعلبك. وفي ذلك قال ابن جبير عند ذكره «مدينة دمشق»: «وأما الرباطات التي يسمونها الخوانق فكثيرة، وهي برسم الصوفية. وهي قصور مزخرفة، يطرد في جميعها الماء على أحسن منظر يبصر. وهذه الطائفة الصوفية هم الملوك بهذه البلاد»[١٦].

ومن بلاد الشام انتقلت عمارة الخوانق إلى مصر على يد الوزير ثم السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، الذي أرسى حجر الأساس للخوانق فيها، فحوَّل دار سعيد السعداء إلى خانقاه بعد أن أدخل عليها التعديلات المعمارية اللازمة لوظيفتها الجديدة، وهي التعديلات التي تمت على أساس معلوم من أنظمة معمارية في خوانق سابقة عليها سواء في إيران، أو بلاد الشام خلال عهد السلطان الملك العادل نور الدين محمود[١٧].

ويرى عاصم رزق أن الخوانق أو الخوانك في الإسلام كانت عبارة عن دور للعلم والعبادة، قامت بأدوار دينية اجتماعية وثقافية مهمة في حياة المجتمع الإسلامي منذ نشأتها -في ظنه- في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وكانت في رأيه عبارة عن معاهد للمذاهب الفقهية، والحديث، والقراءات، والتصوف، وغير ذلك من العلوم الشرعية وما يتصل بها من جهة، ومواقع إيواء لكل وافد إلى الديار من البلاد الإسلامية الأخرى ممن لم يكن لهم مأوى من جهة أخرى، ومراكز إشعاع ثقافي بما احتوته بعض مكتباتها من الكتب المصنفة في كثير من العلوم والمعارف من جهة ثالثة[١٨].

أما عن وظائفها فقد كانت كثيرة ومتعددة، منها شيخ الخانقاه، وإمامها، وناظر وقفها، ومدرسو المذاهب ومعيدوهم، والكحال، والجرائحي، والطبائعي، وخازن الكتب، وكاتب الغيبة، والشاهد، والمؤذن، والمزملاتي، ومشرف الحمام، ومشرف المطبخ، والطباخ، وخادم الشيخ، وخادم الربعات الشريفة، والبواب، والفراش، وسواق الساقية، والوقاد، ونحوهم[١٩].

ثانيًا: ازدهار التصوف وعمارة الخوانق في بلاد الشام خلال عهد السلطان الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر (٥٤١-٥٦٩هـ/ ١١٤٦-١١٧٣م)

- أبو سعيد آق سنقر بن عبد الله، الملقب قسيم الدولة، المعروف بالحاجب (والد عماد الدين زنكي وجد البيت الأتابكي):

هو: «أبو سعيد آق سنقر بن عبد الله، الملقب قسيم الدولة، المعروف بالحاجب، جد البيت الأتابكي، أصحاب الموصل، وهو والد عماد الدين زنكي بن آق سنقر»[٢٠]. كان من مماليك السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي (٤٦٥-٤٨٥هـ/ ١٠٧٢-١٠٩٢م)، وتربى معه منذ صغره، فلما تولى ملكشاه بلغ آق سنقر منزلة رفيعة عنده، وأصبح من كبار أمرائه، ولما علت منزلته لقب «قسيم الدولة» و«الحاجب». وقد تقلد ولاية حلب وأعمالها كحماة، ومنبج، واللاذقية، وكفر طاب، وفرض طاعته على صاحب شيزر سنة (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)، ووسع نطاق ولايته، فضم إليها حمص سنة (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)، وحصَّن أفامية سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م). وبعد وفاة ملكشاه ضم آق سنقر مدينة تكريت. وفي سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) أصبح نائبًا لتتش (أخي السلطان ملكشاه)، الذي طمع في السلطنة بعد وفاة أخيه، وحاول استخلاصها لنفسه من بركياروق بن ملكشاه، الذي أمر آق سنقر بمحاربة تتش، فانتصر تتش، وأُسر آق سنقر، ثم قُتل في سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، ودفن بالمدرسة الزجاجية بحلب[٢١].

- أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر (والد السلطان الملك نور الدين محمود):

كان عماد الدين زنكي عند وفاة أبيه في العاشرة من عمره، وكان يقيم بحلب، فراعاه السلطان بركياروق (٤٨٧-٤٩٨هـ/ ١٠٩٤-١١٠٤م)، واهتم بتربيته. ولما بلغ مبلغ الرجال ظهرت مواهبه وشجاعته، واشترك مع ولاة الموصل في جميع المعارك ضد الصليبيين في الجزيرة، والشام، وتل باشر، ومعرة النعمان، وطبرية، والرها، وسميساط. ولما توفي السلطان محمد بن ملكشاه (٤٩٨-٥١١هـ/ ١١٠٤-١١١٧م) خَلَفه ابنه محمود (٥١١-٥٢٥هـ/ ١١١٧-١١٣١م) في السلطنة، وانتهى الأمر بعماد الدين زنكي أن تقلد البصرة سنة (٥١٦هـ/ ١١٢٢م). وفي سنة (٥١٧هـ/ ١١٢٣م) عُزل البرسقي من شحنكية -محافظ المدينة أو الإقليم- العراق، وأعيد إلى الموصل، فاستدعى عماد الدين زنكي، وكان

بالبصرة، لموافاته بالموصل، ولكنه آثر البقاء بأصبهان مع السلطان محمود، وفي السنة التالية أقطعه السلطان البصرة، ثم ولّاه واسط، ثم ولّاه شحنكية العراق، ثم كلف بإخضاع الخليفة المسترشد سنة (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، فانتصر سنة (٥٢١هـ/ ١١٢٧م)، ولم يَطُل مقام السلطان محمود ببغداد، فعاد إلى أصبهان حاضرة مملكته، وقبل رحيله ولّى عماد الدين زنكي بغداد والعراق، بالإضافة إلى الولايات التي كان يحكمها، ثم صدر منشور السلطان بإقطاعه الموصل، والجزيرة، والشام، وسلمه ولديه ألب أرسلان وفروخ شاه المعروف بالخفاجي، وجعله أتابك لهما، ومنذ ذلك الحين أطلق على زنكي لقب «أتابك»، ثم استولى زنكي على حلب[٢٢].

• نشأة العلاقة بين البيت الزنكي والبيت الأيوبي

سار سلجوقشاه إلى بغداد على رأس جيش كبير إلى تكريت لإيقاف تقدم عماد الدين زنكي، وانتصر عليه، فيمَّم زنكي وجهه شطر تكريت حيث أكرم نجم الدين أيوب وفادته، وسهَّل له سبيل عودته إلى الموصل. ومن هنا نشأت العلاقة بين بيت زنكي والبيت الأيوبي؛ تلك العلاقة التي كان لها أثر بعيد في الأحداث التاريخية التي ظهر فيها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي. ولم يلبث سنجر أن انتصر على جيوش مسعود وسلجوقشاه، وأجلس طغرل بن محمد على عرش سلطنة العراق، ثم حلت الهزيمة بزنكي ودبيس بن صدقة، واستطاع مسعود أن يجلس على عرش سلطنة العراق وإيران بموافقة عمه سنجر. وكان من أثر هذه المعارك أن ساءت العلاقة بين زنكي والسلطان مسعود من جهة، وبين الخليفة المسترشد من جهة أخرى[٢٣].

• السلطان الملك العادل نور الدين محمود (٥٤١- ٥٦٩هـ/ ١١٤٦-١١٧٣م)

امتد نفوذ عماد الدين زنكي من شمال العراق إلى شمال الشام، وكان يتطلع إلى إتمام توحيد الجبهة الإسلامية عن طريق ضم الإمارات الإسلامية المجاورة -وبخاصة أتابكية دمشق- لولا قتله المفاجئ سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) على يد أحد خصيانه، وذلك بعد سنتين من استيلائه على الرها سنة (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) -أولى الإمارات الصليبية، والدرع الواقي للصليبيين بالشام ضد الأخطار التي هددتهم من جانب سلاجقة فارس والعراق- من الصليبيين. وانقسمت أملاكه بين أبنائه، فتولى السلطان الملك العادل نور الدين محمود مدينة حلب، وتولى السلطان سيف الدين غازي الموصل وبلاد الجزيرة. وقد عمل السلطان نور الدين محمود على توحيد بلاد الشام تحت سلطانه ليستطيع محاربة الصليبيين، وتمكن من الاستيلاء على دمشق سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)، كما استولى على بعض القلاع الصليبية الأخرى، ومن ثم أخذ يتطلع إلى مصر لتمتد الجبهة الإسلامية المتحدة من الفرات إلى النيل[٢٤].

• ازدهار التصوف وعمارة الخوانق في بلاد الشام في عهده

ازدهر التصوف في بلاد الشام ازدهارًا عظيمًا في عهد السلطان نور الدين محمود، فشيدت الرُّبط والخوانق في جميع البلاد للصوفية، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة، وكان يجل شيوخهم، ويقربهم، ويتواضع معهم. قال ابن الأثير في أحداث سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) عند ذكره «وفاة نور الدين محمود بن زنكي، رحمه الله»، ما نصه: «في هذه السنة توفي نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر، صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر... ودفن بقلعة دمشق، ونقل منها إلى المدرسة التي أنشأها بدمشق، عند سوق الخواصين... وأما ما فعله من المصالح، فإنه بنى أسوار مدن الشام جميعها وقلاعها... وبنى المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية، وبنى الجامع النوري بالموصل، وبنى البيمارستانات والخانات في الطرق، وبنى الخانكاهات للصوفية في جميع البلاد، ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة... وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ويعطيهم ويقوم إليهم ويجلسهم معه، وينبسط معهم، ولا يرد لهم قولًا، ويكاتبهم بخط يده، وكان وقورًا مهيبًا مع تواضعه، وبالجملة فحسناته كثيرة ومناقبه غزيرة...»[٢٥].

وفي ذلك أورد أبو شامة عند ذكره «ما فعله نور الدين من المصالح»: «... وبنى أيضًا المدارس بحلب، وحماة، ودمشق، وغيرها للشافعية والحنفية. وبنى الجوامع في جميع البلاد... وبنى الربط والخانقاهات في جميع البلاد للصوفية، ووقف عليها الوقوف الكثيرة، وأدر عليهم الإدرارات الصالحة، وكان يُحضِر مشايخهم عنده، ويقربهم، ويدنيهم ويبسطهم، ويتواضع لهم، وإذا أقبل أحدهم إليه يقوم له مذ تقع عينه عليه، ويعتنقه ويجلسه معه على سجادته، ويقبل عليه بحديثه. وكذلك كان أيضًا يفعل بالعلماء من التعظيم والتوقير والاحترام... وبالجملة كان أهل الدين عنده في أعلى محل وأعظمه»[٢٦].

• وفود شيخ الشيوخ الصوفي عماد الدين أبي الفتح محمد (ابن حمويه) إلى الشام (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م)

شهدت سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م) وفود شيخ الشيوخ الصوفي ابن حمويه إلى الشام، وتوليه مشيخة الصوفية من قِبل السلطان نور الدين محمود. قال أبو شامة: «قال العماد: وكان وفد في سنة أربع وستين شيخ الشيوخ عماد الدين أبو الفتح محمد بن

علي بن محمد بن حمويه –هو في كشف الظنون: محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني صدر الدين الشافعي الصوفي المعروف بابن حمويه–، فأقبل عليه نور الدين، وأمرني بإنشاء منشور له بمشيخة الصوفية، ورغبه في المقام بالإحسان إليه بالشام. ومن جملة ما أتحفه به عمامة بأعمدة ذهبية نفذها صلاح الدين من مصر، فبذل فيها ألف دينار بزنة ذهبها، فلم يُجِب مَن سامها إلى طلبها»[٢٧].

• فتح مصر وأعمالها من قِبل السلطان نور الدين محمود زنكي

أورد أبو شامة عند ذكره «قدوم عماد الدين الكاتب إلى دمشق»، ما نصه: «قلت: وذكر العماد الكاتب في أول كتابه «البرق الشامي»، أنه قدم دمشق في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة في دولة الملك نور الدين محمد بن زنكي، وأخذ في وصفه بكلامه المسجوع فقال: كان ملك بلاد الشام ومالكها، والذي بيده ممالكها، الملك العادل نور الدين... وهو الذي أعاد رونق الإسلام إلى بلاد الشام... وأنشأ الخانقاهات للصوفية، وكثَّرها في كل بلد وكثرً وقوفها، وقرر معروفها، وأدنى للوافدين من جنان جنابه قطوفها... وهو الذي فتح مصر وأعمالها، وأنشأ دولتها ورجالها»[٢٨].

• صلاح الدين الأيوبي في مصر للمرة الأولى (٥٥٩هـ/ ١١٦٤م) وبداية ظهوره على مسرح السياسة

بعد موت الوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك سنة (٥٥٦هـ/ ١١٦١م) خَلَفه ابنه رزيك، الذي تلقب بالملك العادل، والذي لم يظل في الوزارة سوى خمسة أشهر، قتله بعدها شاور بن مجير السعدي والي قوص، وتولى الوزارة سنة (٥٥٨هـ/ ١١٦٣م)، فكان أن خرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار المنذري، الذي استطاع أن ينتصر على شاور، مما اضطر شاور إلى الفرار من مصر قاصدًا الشام مستنجدًا بالسلطان العادل نور الدين محمود، فوصل إليها سنة (٥٥٩هـ/ ١١٦٤م). وفي الوقت نفسه الذي استُقبل فيه شاور في البلاط النوري، أرسل منافسه ضرغام إلى نور الدين رسالة يطلب فيها دعمه وتأييده، وبعد رفض نور الدين مساعدة ضرغام حاول ضرغام أن يكسب تأييد عموري الأول ملك بيت المقدس[٢٩].

وقد أرسل السلطان نور الدين محمود حملة مع شاور سنة (٥٥٩هـ/ ١١٦٤م) بقيادة أسد الدين شيركوه، وصحب شيركوه في تلك الغزوة ابن أخيه صلاح الدين. قال ابن شداد عند ذكر «حركته إلى مصر في الدفعة الأولى صحبة عمه أسد الدين» ما نصه: «فلما قهر شاور وأخرج من القاهرة، اشتد في طلب الشام قاصدًا خدمة نور الدين بن زنكي، مستصرخًا به مستنصرًا على أعدائه بعسكره، فتقدم نور الدين إلى أسد الدين شيركوه بالخروج إلى محروسة مصر قضاءً لحق الوافد المستصرخ، وجسًّا للبلاد وتطلعًا إلى أحوالها، وذلك في شهور سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، فتأهب أسد الدين شيركوه وسار إلى مصر، فاستصحبه معه –رحمه الله– عن كراهية منه لذلك، لمكان افتقاره إليه، وجعله مقدم عسكره، وصاحب رأيه، وساروا حتى وصلوا إلى محروسة مصر، وشاور معهم»[٣٠].

وعندئذ استنجد ضرغام بالصليبيين، ووصل شيركوه الدلتا قبل الصليبيين، وانتصر عند تل بسطا على ضرغام، ووصل مع شاور في نفس السنة إلى أسوار القاهرة، وقتل ضرغام في أثناء محاولته الفرار سنة (٥٥٩هـ/ ١١٦٤م)، وتولى شاور الوزارة للمرة الثانية، فأساء معاملة الناس، ورفض أن يدفع لشيركوه المال المتفق عليه، وطلب منه الخروج من مصر، فاستولى شيركوه على بلبيس والشرقية، واستنجد شاور بالصليبيين على غرار ضرغام من قبل، وعاد عموري الأول إلى مصر على رأس جيش كبير، فوصل فاقوس، وتحصن شيركوه ببلبيس، واشترك شاور مع عموري في حصار شيركوه، حتى تم الاتفاق على أن يغادر شيركوه وعموري مصر، وهو الأمر الذي تم في أواخر سنة (٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)[٣١].

• صلاح الدين في مصر للمرة الثانية (٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)

عاد شيركوه مرة أخرى بحملة على مصر في سنة (٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)، واصطحب معه أيضًا ابن أخيه صلاح الدين. قال ابن شداد عند ذكره «عوده إلى مصر في الدفعة الثانية وسبب ذلك وهي معروفة بوقعة البابين»، ما نصه: «فتجهَّز أسد الدين، وأنفذ معه الملك العادل نور الدين العساكر، وألزم السلطان –رحمه الله– بالمسير معه، على كراهية منه لذلك»[٣٢].

• صلاح الدين في مصر للمرة الثالثة (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م)

استجاب نور الدين لمطلب الخليفة الفاطمي العاضد، وأمد شيركوه في هذه المرة بمائتي ألف دينار، بالإضافة إلى الأسلحة، والثياب، والدواب، وندب صلاح الدين الأيوبي ليمضي معه إلى مصر، فخرج معه على كره منه. قال ابن شداد عند ذكره «عودهم إلى مصر في الدفعة الثالثة وهي التي ملكوها فيها وجرى ما جرى في شهور سنة أربع وستين وخمسمائة»، ما نصه: «وأما أسد الدين فبنفسه وماله وأهله ورجاله». ولقد قال لي السلطان –قدس الله روحه: «كنت أكره الناس للخروج في هذه الدفعة، وما خرجت مع عمي باختياري»[٣٣].

• شيركوه وزيرًا للخليفة الفاطمي العاضد

بعد التخلص من شاور خَلَع الخليفة الفاطمي العاضد على شيركوه تبعًا للتقاليد المصرية خِلَع الوزارة، وفوض إليه الحكم والتقدمة على الجيوش، ولقبه «الملك المنصور سلطان أمير الجيوش»، وذلك في (١٧ ربيع الثاني ٥٦٤هـ/ ١٨ يناير ١١٦٩م). قال ابن شداد: «وأنفذ إلى أسد الدين خلعة الوزارة، فلبسها وسار ودخل القصر، ورُتب وزيرًا»[٣٤].

• صلاح الدين وزيرًا للخليفة الفاطمي العاضد

أشار شهاب الدين محمود الحارمي؛ خال صلاح الدين، على الخليفة الفاطمي العاضد بتولية صلاح الدين الأيوبي الوزارة، ووافق العاضد، وخَلَع عليه خِلَع الوزارة، وأمر القاضي الفاضل بإنشاء سجل بتوليته الوزارة، ولقبه «الملك الناصر صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، جامع كلمة الإيمان قامع عبدة الصلبان، محيي دولة أمير المؤمنين»، وذلك في (يوم الاثنين ٢٥ جمادى الآخرة ٥٦٤هـ/ ٢٦ مارس ١١٦٩م)، وظل الناصر صلاح الدين في الوزارة حتى (المحرم ٥٦٧هـ/ سبتمبر ١١٧١م)، وكتب على طرته بخطه: «هذا عهد أمير المؤمنين إليك وحجته عند الله تعالى عليك، فأوفِ بعهدك ويمينك ...»[٣٥].

ثالثًا: الخانقاه الصلاحية من حيث الموقع والمُنشئ والتخطيط والعمارة

• أثر التصوف وعمارة الخوانق ببلاد الشام على نشأة التصوف وعمارة الخانقاه الصلاحية بمدينة القاهرة

القاهرة الأيوبية: كانت القاهرة قبل العصر الأيوبي كما قال المقريزي: «منزل سكنى للخليفة وحرمه وجنده وخواصه، ومعقل قتال يتحصن بها، ويلتجأ إليها، وأنها ما برحت هكذا حتى كانت السنة العظمى في خلافة المستنصر، ثم قدم أمير الجيوش بدر الجمالي، وسكن القاهرة... فأباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن، وكل من وصلت قدرته إلى عمارة بأن يعمر ما شاء في القاهرة مما خلا من فسطاط مصر، ومات أهله، فأخذ الناس ما كان هناك من أنقاض الدور وغيرها، وعمروا به المنازل في القاهرة وسكنوها»[٣٦].

وفي العصر الأيوبي تفتحت للقاهرة آفاق جديدة، واكتسبت طابعًا عمرانيًّا، وتطورًا حضاريًّا، وصبغة دينية لم تشهدها من قبل. فقد شرع صلاح الدين الأيوبي في القضاء على المذهب الإسماعيلي الفاطمي، وإحياء المذهب السني بدلًا منه، فاستبدل بقضاة الشيعة قضاة السنة، وفوض القضاء لصدر الدين بن عبد الملك بن درباس الشافعي، وحمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن علي الأشعري، وشرط ذلك في أوقافه بمصر، وأفتى فقهاء الدولة بوجوب اتباع المذهب السني، وتحريم ما عداه. ولما كان المذهب السني يحتاج إلى مزيد من الشرح والتفصيل، فإن صلاح الدين شيد المدارس لدراسة الفقه والحديث. ثم عزم على أن يرسي المذهب السني على أساس ركين متين، فاستقدم ثلاثمائة من أكابر الصوفية المعتدلين من أهل الورع والدين؛ لأن التصوف يعتبر الذروة العليا في فهم الدين، وأنزل هؤلاء الصوفية دار «سعيد السعداء» بعد أن حولها إلى الخانقاه «الصلاحية» أو «دويرة الصوفية»[٣٧].

هذا، وقد كان عهد صلاح الدين حلقة ممتدة من الحروب والفتوحات اتسعت به حدود الدولة حتى شملت اليمن، والشام، وشمال الجزيرة، واستُردت أهم المراكز التي كان يحتلها الصليبيون، بعد أن أخرجهم صلاح الدين من بيت المقدس سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م). وقد عني صلاح الدين بأن يربط بين القاهرة والفسطاط، ويفتح ما بينهما من أبواب، ففي سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) شرع في تجديد أسوار القاهرة الفاطمية، وفي سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) أمر ببناء سور يحيط بالقاهرة، ومصر الفسطاط، وقلعة الجبل، فشرع في بناء قلعة الجبل، وعمل السور، وحفر الخندق حوله[٣٨].

موقع خانقاه سعيد السعداء عن مصلحة المساحة، خريطة الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، مقياس الرسم ١: ٥٠٠٠، ١٩٥١م.

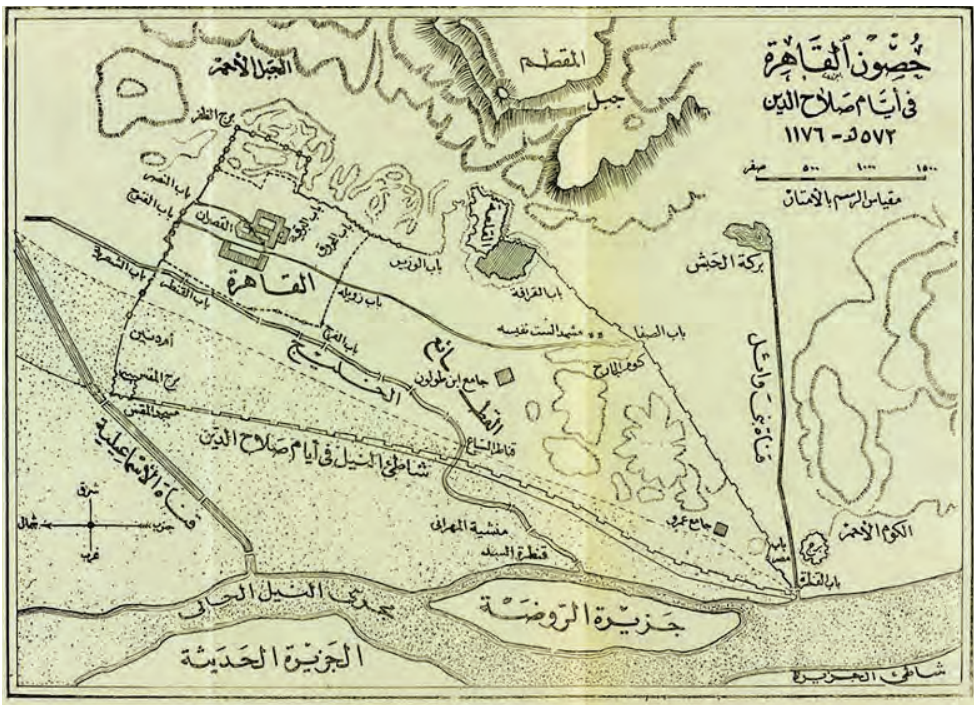

خريطة القاهرة في العصر الأيوبي، نقلًا عن د. عبد الرحمن زكي.

- **الخانقاه الصلاحية (دويرة الصوفية - خانقاه سعيد السعداء) أثر رقم (٤٨٠)**

الموقع: تقع هذه الخانقاه بخط رحبة باب العيد بالقاهرة في مقابل دار الوزارة، وكانت عبارة عن دار تقع إلى الشمال من القصر الفاطمي الكبير الشرقي حوّلها «السلطان الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب...»[٣٩] إلى خانقاه للصوفية، وقال ابن خلكان: «وجعل دار سعيد السعداء خادم المصريين خانقاه، ووقف عليها وقفًا طائلًا»[٤٠]، وهي بذلك تعد أول خانقاه للصوفية تشيَّد بمصر الإسلامية[٤١].

الـمُنشئ: أنشأ هذه الخانقاه -كما تقدم- السلطان الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب، وقد شيدها برسم الفقراء الصوفية الواردين على مصر، ووقفها عليهم. قال السيوطي: «وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء المصريين خانقاه»[٤٢].

وفي موضع آخر وتحت عنوان «خانقاه سعيد السعداء» أمدَّنا السيوطي بتفاصيل أكثر عن هذه الخانقاه بقوله: «وقفها السلطان صلاح بن أيوب، وكانت دارًا لسعيد السعداء قنبر -ويقال عنبر- عتيق الخليفة المستنصر»[٤٣]. وتفصيل ذلك فيما يتعلق بدار «سعيد السعداء» يمكن عرضه على النحو الآتي:

دار «سعيد السعداء»: «سعيد السعداء» ذكره المقريزي في الخطط، بقوله: «وهو الأستاذ قنبر، ويقال عنبر. وذكر ابن ميسر أن اسمه بيان، ولقبه سعيد السعداء؛ أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر؛ عتيق الخليفة المستنصر، قُتل في سابع شعبان سنة أربع وأربعين وخمسمائة، ورُمي برأسه من القصر، ثم صُلبت جثته بباب زويلة من ناحية الخرق...»[٤٤].

وقد أورد ابن تغري بردي عند ذكره «رحبة باب العيد» هذه الدار، بقوله: «كان الخليفة لا يركب يوم العيد إلا من باب القصر الذي من هذه الناحية خاصة... خانقاه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وهي دار سعيد السعداء؛ خادم الخليفة المستنصر معد العبيدي أحد خلفاء مصر، ثم صارت في آخر الوقت سكن الوزير طلائع... ولما سكنها طلائع المذكور فتح لها من دار الوزارة -أعني التي هي الآن خانقاه بيبرس الجاشنكير (٧٠٦-٧٠٩هـ/ ١٣٠٦-١٣١٠م)- سردابًا تحت الأرض، وجمع بين دار سعيد السعداء ودار الوزارة في السكن لكثرة حشمه، وصار يمشي في السرداب من الدار الواحدة إلى الأخرى»[٤٥].

وفي موضع آخر أورد ابن تغري بردي عند ذكره «ولاية السلطان صلاح الدين على مصر»: «وجعل دار سعيد السعداء؛ خادم الخلفاء المصريين. خانقاه، ووقف عليها وقفًا هائلًا»[٤٦].

الدراسة الأثرية للخانقاه حاليًّا (التخطيط والعمارة): تتألف الخانقاه حاليًّا من الناحية المعمارية من مدخل بسيط، وصحن كبير مكشوف سماوي، وأربعة إيوانات متعامدة أو متقابلة تحيط بالصحن من الجوانب الأربعة، بواقع إيوان في كل جانب، وبعض خلاوٍ بالإيوان الشمالي الغربي، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

تمتد الواجهة الرئيسية بطول (٢٦م[٤٧])، وتشتمل على حنية المدخل الرئيسي، ويعلوها منشآت حديثة متداعية، ويتوصل إلى داخل الخانقاه من خلال مدخل واجهته حجرية، يبلغ اتساع

الخانقاه الصلاحية من الداخل،
نقلًا عن https://2u.pw/0CienR4.

الخانقاه الصلاحية من الداخل،
نقلًا عن https://2u.pw/0CienR4.

حنيته (٢م)، وعمقها (٥٠سم)، وارتفاعها (٥م)، يعلوه عتب حجري غير مزخرف، أما طاقيته فعلى هيئة عقد مدبب كانت تعلوه نافذة مستطيلة الشكل، ويكتنفه جلستان صغيرتان (٥٠-٤٥سم)، وتشتمل الواجهة على مشربية من خشب الخرط، تغطيها دروة خشبية من أعلى، وخلف الحنية فتحة باب، يبلغ اتساعها (١,٨٠م)، وعمقها (٣٠سم)، وارتفاعها (٢,٦٠م)، تفضي إلى دهليز مستقيم مستطيل الشكل، يبلغ طوله (١٥,٧٠م)، وعرضه (٢,٧٠م)، أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري، غطي في جزء منه بألواح خشبية، والجزء الآخر مكشوف، وبجانبه الجنوبي ثلاث فتحات معقودة بعقود مدببة، اتساع كلٍّ منها (٩٥سم)، بسمك (٢٠سم)، تفضي كلٌّ منها إلى حاصل، مساحة الحاصل جهة الشرق (٥-٣,٥٠م)، والآخرين (٤,٥٠-٢,٨٠)، وبنهاية الجانب الشمالي للدهليز فتحة باتساع (٢,٣٠م)، يتوجها عقد مدبب، ويتوصل منها إلى ممر صغير ملتف يفضي إلى صحن الخانقاه[٤٨].

أما الصحن فهو مستطيل الشكل، يبلغ طوله (٢٤,٨م)، وعرضه (١٤,٧م)، أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري، وفي وسطه صنابير الوضوء، وتتعامد عليه أربعة إيوانات من الجوانب الأربعة، بواقع إيوان في كل جانب، أما الإيوان الجنوبي الشرقي (إيوان القبلة) فهو مستطيل الشكل، أبعاده (١٦,٥٠[٤٩]-١٠,٦٠م[٥٠])، أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري، يتكون من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة، أي تمتد من الشرق إلى الغرب، من خلال بائكتين من أربع دعائم حجرية مثمنة، ترتكز عليها خمسة عقود مدببة، ويعلوها سقف مجدد من عروق خشبية، ويتوسط المحراب جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية باتساع (١,٢٠م[٥١])، وعمق (٥٥سم[٥٢])، يكتنفها عمودان مثمنان من الخشب، ويتوج المحراب عقد مدبب، تعلوه قمرية غير نافذة[٥٣].

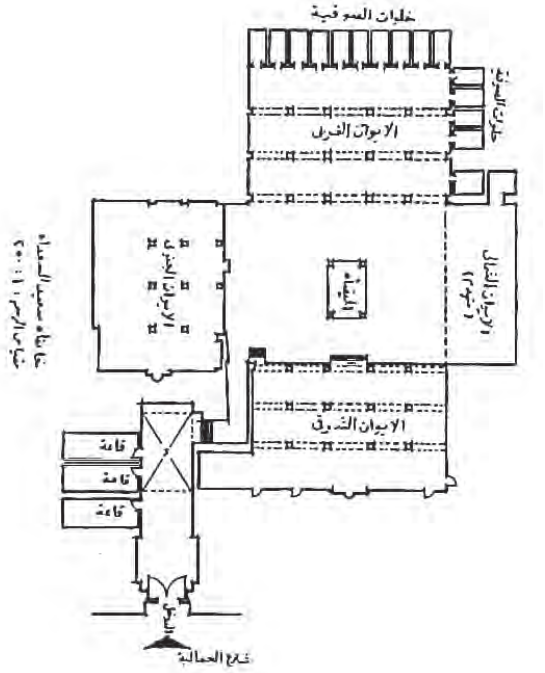

مسقط أفقي للخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، انظر: عاصم محمد رزق، **خانقاوات الصوفية في مصر: في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧-٩٢٣هـ/ ١١٧١-١٥١٧م)**، مج. ١، صفحات من تاريخ مصر ٣١ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧): ١٥٣.

أما المنبر فهو مجدد من الخشب، ويشتمل جدار القبلة على ثلاثة أبواب متشابهة، باتساع (١م)، ويؤدي كل باب إلى حجرة مستطيلة الشكل، وفي الركن الشمالي الشرقي يوجد باب رابع على نفس الشكل، وهو يفضي إلى حجرة رابعة بنفس الشكل، وأغلب الظن أن هذه الحجرات كانت مخصصة لسكنى شيوخ الخانقاه، أما الركن الجنوبي الشرقي فيشتمل على دخلة، باتساع (٢,٩٠م)، وطول (٤,٤٠م)، يغطيها سقف خشبي مجدد[٥٤].

أما الإيوان الشمالي الغربي فهو مستطيل الشكل، أبعاده (١٨,٣٠[٥٥]-١١,٣٠م[٥٦])، أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري، ويتقدم الإيوان من الجهة الجنوبية الشرقية حاجز حجري مرتفع، له فتحة اتساعها (١م)، والإيوان ينقسم إلى ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة من خلال ثلاث بائكات موازية من أعمدة حجرية، ترتكز عليها خمسة عقود مدببة، وكان السقف مزخرفًا بالزخارف النباتية والهندسية، ولم يبقَ منها غير الآثار الدالة عليها، وفي خلف الإيوان توجد (١٠) خلاوٍ للصوفية، يتوصل إلى كلٍّ منها من خلال مدخل باتساع (٨٠سم)، يعلوه عتب خشبي، تعلوه نافذة مستطيلة الشكل، مغشاة بمصبعات من الخشب الخرط، وقد جاءت كل خلوة بأبعاد (٣,٥٠-١,٥٠م)، وتشتمل في صدرها على مسطبة، بعرض (٦٥سم)، وارتفاع (٣٥سم)، كان يغطيها قبو نصف أسطواني، والآن من عروق خشبية، ويشتمل هذا الإيوان من الجهة الشمالية على خمس خلاوٍ[٥٧].

وقد كان يعلو النوافذ الخشبية المستطيلة الشكل فوق هذه الأبواب وعلى نفس محاورها، صفان من نوافذ أخرى مشابهة لها في كلٍّ من الناحيتين الشمالية والغربية، كانت عبارة عن منافذ إنارة وتهوية لخلاوي الدورَيْن الثاني والثالث، ويعني ذلك أن هذه الخلاوي كانت تتكون من اثنتي عشرة خلوة من دورين في الجهة الشمالية، أما الجهة الجنوبية التي تغيرت معالمها فكانت تتكون من ثلاثة أدوار، بكل دور ست نوافذ تشبه مثيلاتها في الجهتين الشمالية والغربية، وكان بها بالطبع نفس عدد الخلاوي الموجودة في الجهة الشمالية، وفي النهاية الجنوبية للجدار الغربي بالإيوان الشمالي توجد فتحة باب باتساع (١,١٠م)، يعلوها عتب حجري، كانت تؤدي إلى ممر مستطيل الشكل، بعرض (١,٤٠م)، يؤدي بدوره إلى دورة مياه[٥٨].

أما الإيوان الجنوبي الغربي فهو مستطيل الشكل، أبعاده (١٧,٤٠[٥٩]-٩,٦٠م[٦٠])، أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري، يتكون من أربع بلاطات موازية، وثلاث بلاطات عمودية، من خلال ثلاث بائكات موازية، وبائكتين بشكل عمودي من أعمدة رخامية مثمنة ترتكز عليها عقود مدببة، فيما عدا أنه يوجد عمود مثمن الشكل في جانبه الشرقي من الحجر الجيري، وتشتمل الجهة الجنوبية الشرقية على محراب غير مزخرف، يبلغ اتساع حنيته (٨٠سم)، وعمقها (٥٠سم)، طاقيته على هيئة عقد مدبب، ويغطي الإيوان سقف خشبي مجدد[٦١].

• عمارة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي حمام الخانقاه أو حمام الصوفية

نقل محمد سيف النصر عن علي باشا مبارك خمسة حمامات من تلك التي كانت قائمة في العصر الأيوبي، وهذه الحمامات يمكن عرضها على النحو الآتي:

١- حمام سعيد السعداء، ذكرها علي باشا مبارك بوسط شارع الجمالية، وذكر أنها كانت تعرف أولًا بحمام الصوفية، وعرفت في زمنه بحمام الجمالية، يدخلها الرجال والنساء[٦٢].

٢- حمام البيسري، ذكرها علي باشا مبارك بأول شارع سوق السمك، شيدها الأمير بيسري النجمي، وبيسري هو الأمير شمس الدين الصالحي النجمي؛ أحد المماليك البحرية للملك الصالح نجم الدين أيوب، ذكرها المقريزي عند ذكر الدار البيسرية لكن لم يترجمها في الحمامات[٦٣].

٣- حمام الجبيلي، ذكرها علي باشا مبارك داخل عطفة الجبيلي، بأول شارع الكعكيين على يمين الذاهب من الكعكيين إلى الجامع الأزهر، ولها بابان، أحدهما بالكعكيين، والآخر بحارة خشقدم، وهي حمام قديمة سماها المقريزي حمام الجويني، عرفت بالأمير عز الدين إبراهيم بن محمد بن الجويني؛ والي القاهرة في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب، ونقل علي باشا مبارك عن صاحب قطف الأزهار: «وهي باقية إلى اليوم وتعرف بحمام الجبيلي»، وأضاف علي باشا مبارك أنها لم تزل باقية إلى الآن، يدخلها الرجال والنساء[٦٤].

٤- حمام المصبغة، ذكرها علي باشا مبارك بحارة لولية، داخل شارع الكعكيين، سماها المقريزي بحمام القفاصين، وقال هي بالقرب من رأس حارة الديلم، أنشأها نجم الدين يوسف بن المجاور، وزير الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وتعرف اليوم بحمام المصبغة، ويدخلها الرجال والنساء[٦٥].

٥- حمام الدود، ذكرها علي باشا مبارك بشارع محمد علي، عند تقاطع الشارع من جهة الحلمية على يسار الذاهب من السروجية طالبًا المنشية، وقد عرفها المقريزي بحمام الدود، حيث عرفت بالأمير سيف الدين الدود الجاشنكيري؛ أحد أمراء الملك المعز أيبك التركماني، وخال ولده الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز أيبك، وهذه الحمام إلى اليوم بيد ذرية الدود من قِبل بناته، موقوفة عليهم، وهي عامرة إلى اليوم، ويدخلها الرجال والنساء[٦٦].

ولم يتبقَّ من هذه الحمامات سوى حمام سعيد السعداء وحمام الدود، على أن ما يعنينا هنا من هذه الحمامات هو حمام سعيد السعداء، أي حمام هذه الخانقاه[٦٧].

وحمام الخانقاه ذكره المقريزي، وذكر الأوقاف، وشيخ الشيوخ بما نصه: «وولى عليهم شيخًا، ووقف عليهم بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج القاهرة، وقيسارية الشراب بالقاهرة، وناحية دهمر، ومن البهنساوية... ورتب للصوفية في كل يوم طعامًا ولحمًا وخبزًا، وبنى لهم حمامًا بجوارهم، فكانت أول خانكاه عملت بديار مصر، وعرفت بدويرة الصوفية»[٦٨].

ويقع هذا الحمام بجوار الخانقاه، وهو من الناحية المعمارية يخضع للتقسيم المعتاد الذي وجد بالقاهرة منذ العصر الفاطمي، فيتكون من المسلخ الذي تم تجديده تمامًا، ويفتح به دهليز صغير يؤدي إلى بيت أول، وهو عبارة عن إيوان واحد خلو من الأحواض تمامًا، وتسقفه قبة ضحلة، ويواجهه بيت الحرارة، ويتكون من أربعة إيوانات، وتتوسطه فسقية، وبه خلوات يشغل اثنين منها مغطسان، أحدهما كبير، والآخر صغير[٦٩].

رابعًا: إشكالية تاريخ الخانقاه الصلاحية

لدينا أربعة تواريخ لتحويل الدار إلى خانقاه، يمكن عرضها على النحو الآتي:

- الأول ذكره ابن دقماق، وهو تاريخ سنة (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م)، وذلك بما نصه عند ذكره ناحية «دهمروا»: «... وهي جارية في الأوقاف على الخانقاه الصلاحية دار سعيد السعداء، أوقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة خمس وستين وخمسمائة»[٧٠].

وناحية «دهمروا» ذكرها علي باشا مبارك في الخطط التوفيقية، بقوله: «ووقف عليهم بستان الحبانية، قيسارية الشرب بالقاهرة، وناحية دهمروا، فكانت أول خانقاه عملت بمصر، وعرفت بدويرة الصوفية»[٧١].

- الثاني ذكره المقريزي في الخطط، وهو تاريخ سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)، وذلك بما نصه: «... فلما استبد الناصر صلاح الدين يوسف... بملك مصر... عمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة، ووقفها عليهم في سنة تسع وستين وخمسمائة»[٧٢].

وهذا التاريخ ورد أيضًا عند السيوطي ولكن بشكل مختلف، حيث أورد عند ذكره «خانقاه سعيد السعداء»: «وقفها السلطان صلاح بن أيوب، وكانت دارًا لسعيد السعداء قنبر، ويقال عنبر؛ عتيق الخليفة المستنصر، فلما استبد الناصر صلاح الدين بالأمر، وقفها على الصوفية في سنة تسع وستين وخمسمائة، ورتب لهم كل يوم طعامًا ولحمًا وخبزًا، وهي أول خانقاه عملت بديار مصر، ونعت شيخها بشيخ الشيوخ»[٧٣].

وتاريخ سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) نقله علي باشا مبارك عن المقريزي دون أن يعلق عليه، حيث قال: «فعملها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب خانقاه للصوفية سنة تسع وستين وخمسمائة، وتعرف بالصلاحية ودويرة سعيد السعداء»[٧٤].

وقد أخذت بهذا التاريخ دولت عبد الله عند تناولها هذه الخانقاه، حيث وضعته في العنوان، ولم تتطرق إلى تواريخ أخرى[٧٥].

- الثالث نقله أحد الباحثين، وهو تاريخ سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)، وبعد أن عرض هذا الباحث هذه التواريخ الثلاثة لتحويل الدار إلى خانقاه، رجَّح تاريخ (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)، الذي ذكره المقريزي، حيث وضعه في عنوان الدراسة[٧٦].
- الرابع ورد في دليل الآثار الإسلامية الذي أعده المجلس الأعلى للآثار (وزارة الآثار حاليًّا)، حيث جاء أن هذه الخانقاه شيدت قبل سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)، وعلى هذا الأساس صنفت في آثار الدولة الفاطمية، وليس الدولة الأيوبية.

وأرجح هنا تاريخ سنة (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م)؛ حيث إنه التاريخ الذي فيه تحولت دار سعيد السعداء إلى الخانقاه الصلاحية أو «دويرة الصوفية»، والتي تعد أول خانقاه أحدثت في الديار المصرية. وقد ذكره المؤرخ ابن دقماق (المتوفى سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)، وذكر «دهمروا» الناحية الجارية في الأوقاف على الخانقاه، والتي أكد عليها المقريزي[٧٧]، كما أكد عليها علي باشا مبارك فيما تقدم.

وإضافة لما تقدم، فإننا إذا ربطنا بين الناحية السياسية في مصر في ذلك الوقت وبين تحويل الدار إلى خانقاه، فإنه يمكن القول إن الوزير أسد الدين شيركوه قد دبر مع الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله لقتل شاور في أواخر ربيع الآخر سنة (٥٦٤هـ/ يناير ١١٦٩م)، وكان شاور يسكن هذه الدار.

وقد تولى شاور الوزارة مرتين؛ الأولى من ٢٢ المحرم ٥٥٨هـ إلى رمضان ٥٥٨هـ (ثمانية أشهر)، والثانية من رجب ٥٥٩هـ إلى ١٧ ربيع الآخر ٥٦٤هـ، ثم سكنها من بعده ابنه الكامل، وأغلب الظن أن الكامل سكنها بعد مقتل والده في سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م) حتى سنة (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م)، ثم قام صلاح الدين بتحويلها إلى خانقاه برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة، وذلك في إطار تدعيمه للمذهب السني في مصر من جهة، وإضعاف المذهب الإسماعيلي الفاطمي من جهة أخرى.

ويدعم ما تقدم ما أورده ابن الأثير في أحداث سنة «ثمانٍ وستين وخمسمائة»، أي قبل سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)، عند ذكره وفاة نجم الدين أيوب (والد صلاح الدين الأيوبي) من ذكر للصوفية، حيث قال: «وسار صلاح الدين إلى مصر فوجد أباه قد قضى نحبه ولحق بربه... ومات في السابع والعشرين من ذي الحجة، وكان خيرًا، عاقلًا، حسن السيرة، كريمًا جوادًا، كثير الإحسان إلى الفقراء والصوفية، والمجالسة لهم...»[٧٨].

وذكر الصوفية هنا على لسان ابن الأثير قبل سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)، ربما يرجح أن تاريخ إنشاء الخانقاه الصلاحية (٥٦٥هـ/١١٧٠م) الذي ذكره المؤرخ ابن دقماق، هو التاريخ الصحيح مقارنة بالتواريخ الثلاثة الأخرى؛ تاريخ سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)، وتاريخ سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)، وتاريخ ما قبل سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)؛ حيث إنه من المرجح أن الصوفية هنا في النص المقصود بهم صوفية الخانقاه الصلاحية التي نحن بصددها.

وإضافة لكل ما تقدم، هناك مسألة في غاية الأهمية تتعلق بالكامل بن شاور، الذي ذكرت المصادر والمراجع التاريخية أنه سكن دار سعيد السعداء بعد أن قتل والده الوزير شاور. لذا كان لا بد من البحث عنه لمعرفة المدة الزمنية التي عاشها من جهة، والأحداث التي مرت بها الدار موضوع الدراسة من جهة أخرى؛

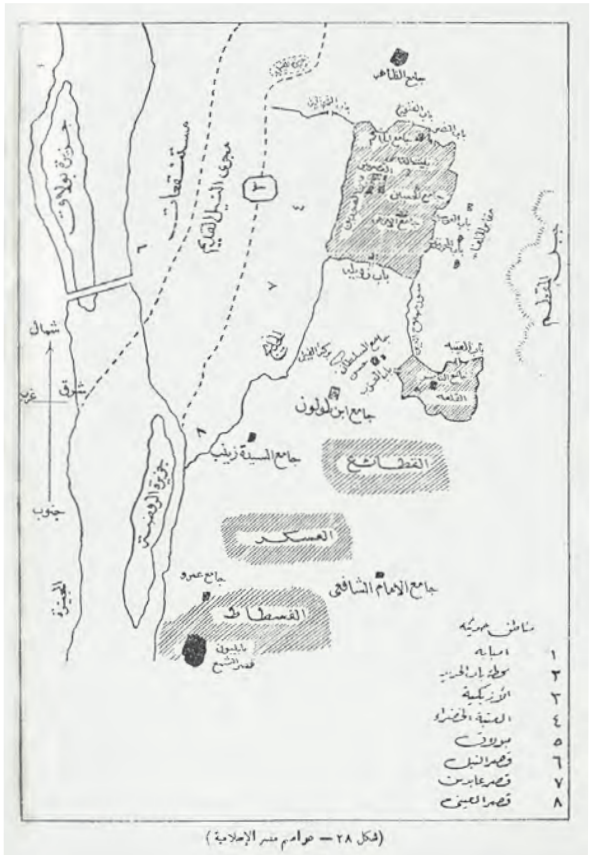

(شكل ٢٨ — عواصم مصر الإسلامية)

عواصم مصر الإسلامية، نقلًا عن د. عبد الرحمن زكي.

حتى يمكن الوصول إلى نتائج تدعم أو تنفي ما تقدم من ترجيح لتاريخ الخانقاه سنة (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م).

ففي هذا الإطار عثرنا على نص في غاية الأهمية ذكره المؤرخ أبو شامة في كتاب الروضتين (المتوفى سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) في أحداث سنة «أربع وستين وخمسمائة»، وتناول فيه الكامل، وهو شجاع بن شاور، وموته في أحداث هذه السنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م)، حيث قال: «قال: وفي هذه السنة قتل العاضد بالقصر ابني شاور الكامل وأخاه -يعني الطاري- يوم الاثنين الرابع من جمادى الآخرة، وذلك أنه لما قتل شاور عادوا بالقصر، فكأنما نزلوا في القبر، فلو أنهم جاؤوا إلى أسد الدين سلموا، وامتنعوا وعصموا، فإنه ساءه قتل شاور، وإن كان أمن بقتله ما حاذر»[٧٩].

وأضاف أبو شامة في هذا الصدد، ما نصه: «قلت: الكامل هو شجاع بن شاور، وكان له أخوان «طي» تقدم ذكر قتل ضرغام له، والآخر «الطاري». قال الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن أبي السرور الروحي في «تاريخه»: أخذ ابنا شاور، شجاع الملقب بالكامل، والطاري الملقب بالمعظم، وأخوه الملقب بفارس المسلمين، فقتلوا ودير برؤوسهم»[٨٠].

ويتضح من هذا النص المهم أن الكامل بن شاور، واسمه «شجاع»، وهو آخر من سكن هذه الدار قتل بأمر الخليفة الفاطمي العاضد يوم الاثنين الرابع من جمادى الآخرة سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م)، أي قبل التاريخ الذي رجحنا صحته لتحويل الدار إلى خانقاه، وهو سنة (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م). ومن ثم، فإن هذا ربما يدعم ما ذهبنا إليه من ترجيح تاريخ المؤرخ ابن دقماق في الانتصار، وكان والده الوزير شاور قد قتل في نفس العام في أواخر ربيع الآخر سنة (٥٦٤هـ/ يناير ١١٦٩م).

وقد لوحظ أيضًا في نص السيوطي الذي تقدم ذكره أن السيوطي ذكر لفظ «وقفها» مرتين؛ حيث قال في الموضع الأول «وقفها السلطان صلاح بن أيوب»، وقال في الموضع الثاني «فلما استبد الناصر صلاح الدين بالأمر، وقفها على الصوفية في سنة تسع وستين وخمسمائة»، مما نرجح معه أن الوقف الأول كان في سنة (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م)، وأن الوقف الثاني كان في سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م). ومن ثم، فإن تاريخ سنة (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م) الذي ذكره ابن دقماق هو الصحيح، فلا يمكن تصور أن السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبقى مصر بدون صوفية وخانقاه منذ عام (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م)، أي منذ بداية وزارته للخليفة العاضد الفاطمي حتى سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)، أي بعد سقوط الخليفة العاضد بسنتين، وخاصة في ضوء الرعاية والعناية العظيمة من قبل السلطان نور الدين محمود للتصوف، والصوفية، والخوانق في بلاد الشام كما تقدم.

وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه -كما تقدم- انتشار ظاهرة التصوف في بلاد الشام، واهتمام السلطان نور الدين محمود بها، وذلك قبل وزارة صلاح الدين الأيوبي لمصر، مما يدل على أن صلاح الدين الأيوبي قد تأثر منذ بداية وزارته بنهج السلطان نور الدين محمود في رعاية التصوف، والصوفية، وعمارة الخوانق، أو بمعنى آخر أن السلطان نور الدين محمود قد فرض هذا الاتجاه على مصر وصلاح الدين الأيوبي، بحكم أن صلاح الدين الأيوبي سواء في وزارته أو سلطنته كان يحكم مصر نائبًا عن السلطان نور الدين محمود.

وهو الأمر الذي يدعم أيضًا أن التصوف بدأ ينتشر في مصر منذ السنة الأولى من وزارة صلاح الدين الأيوبي، ومن ثم قام صلاح الدين الأيوبي بتحويل دار سعيد السعداء إلى خانقاه برسم الصوفية في سنة (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م).

خامسًا: شيخ الخانقاه والصوفية وعاداتهم والأوقاف

أ- **شيخ الخانقاه**: نعت شيخ الخانقاه الصلاحية بشيخ الشيوخ، وعرف الصوفية بها بالعلم والصلاح، وترجى بركتهم، وولي مشيختها الأكابر والأعيان، قال المقريزي في الخطط، ما نصه: «ونعت شيخها بشيخ الشيوخ... وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح، وترجى بركتهم، وولي مشيختها الأكابر والأعيان كأولاد شيخ الشيوخ بن حمويه...»[٨١].

ب- **الصوفية وعاداتهم**: كان الناس في يوم الجمعة يأتون من مصر إلى القاهرة، لكي يشاهدوا صوفية الخانقاه الصلاحية عندما يتوجهون منها إلى صلاة الجامع بجامع الخليفة الحاكم بأمر الله، حتى تحصل لهم البركة والخير، وكان للصوفية في هذا اليوم هيئة فاضلة في خروجهم وعودتهم. قال المقريزي في الخطط، ما نصه: «... وأخبرني الشيخ أحمد بن علي القصار -رحمه الله- أنه أدرك الناس في يوم الجمعة يأتون من مصر إلى القاهرة، ليشاهدوا صوفية خانقاه سعيد السعداء عندما يتوجهون منها إلى صلاة الجمعة بالجامع الحاكمي، كي تحصل لهم البركة والخير بمشاهدتهم، وكان لهم في يوم الجمعة هيئة فاضلة، وذلك أنه يخرج شيخ الخانقاه منها وبين يديه خدام الربعة الشريفة قد حملت على رأس أكبرهم، والصوفية مشاة بسكون وخفر إلى باب الجامع الحاكمي الذي يلي المنبر، فيدخلون إلى مقصورة كانت هناك على يسرة الداخل من الباب المذكور تعرف بمقصورة البسملة... فيصلي الشيخ تحية المسجد... وتصلي الجماعة، ثم يجلسون وتفرق عليهم أجزاء الربعة، فيقرأون القرآن حتى يؤذِّن المؤذنون، فتؤخذ الأجزاء منهم ويشتغلون بالتركع واستماع الخطبة... فإذا قضيت الصلاة والدعاء بعدها، قام قارئ من قراء الخانقاه ورفع صوته بقراءة ما تيسر من القرآن، ودعا للسلطان صلاح الدين ولواقف الجامع ولسائر المسلمين، فإذا فرغ قام الشيخ من مصلّاه، وسار من الجامع إلى الخانقاه والصوفية معه كما كان توجههم إلى الجامع، فيكون هذا من أجمل عوايد القاهرة»[٨٢].

• جامع الحاكم بأمر الله (٣٨٠-٤٠٣هـ/ ٩٩٠-١٠١٣م)

جامع الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الذي كان الصوفية بالخانقاه الصلاحية يخرجون إليه في يوم الجمعة للصلاة، ثم يعودون منه إلى الخانقاه، ذكره المقريزي، بقوله: «هذا الجامع بني خارج باب الفتوح؛ أحد أبواب القاهرة... فلما وسَّع أمير الجيوش بدر الجمالي القاهرة، وجعل أبوابها حيث هي اليوم، صار جامع الحاكم داخل القاهرة»[٨٣].

وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه أن هذا الجامع كان عند إنشائه في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) مما يلي باب الفتوح من خارجه. وفي مرحلة تالية عند إنشاء سور القاهرة الشمالي في سنة (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) في وزارة بدر الجمالي وخلافة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م)، صار الجامع داخل القاهرة؛ حيث حجب السور الشمالي الواجهة الشمالية الشرقية للجامع وما بها من مداخل، كما التف حول بدن المئذنة الشمالية السفلى فحجب زواياها. غير أنه كما يذكر أحد الباحثين يمكن مشاهدة ثلاثة أركان للبدنة الفاطمية، من خلال حفر عُملت لهذا الغرض في سطح سور بدر الجمالي حول هذه المئذنة، وقد جاء إنشاء هذا الجامع كما يذكر أحد الباحثين تلبيةً للنمو السكاني والتوسع العمراني، خاصة مع صغر مساحة الجامع الأزهر من جهة، والعنصر الأمني المتمثل في توفير الأمن للقصور الفاطمية الزاهرة من جهة أخرى؛ حيث إن ساكني ظاهر القاهرة الشمالي من خارج بابي النصر والفتوح كانوا يؤدون الصلاة بالجامع الأزهر، مرورًا من القصبة العظمى أمام القصور الزاهرة، ومن جهة ثالثة نشر الدعوة الإسماعيلية في ظاهر القاهرة، خاصة وأن عهد العزيز كان غنيًّا بالدعاة والعلماء[٨٤].

ج- **الأوقاف**: وردت أوقاف الخانقاه في المصادر سواء من قِبل واقفها الأصلي، الذي قال عنه ابن خلكان: «ووقف عليها وقفًا طائلًا»، وقال عنه ابن تغري بردي: «ووقف عليها وقفًا هائلًا»، أو غيره على النحو الآتي:

١- ناحية دهمروا، من البهنساوية، قال ابن الجيعان: «وقف الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء»[٨٥]، وقد ذكرها ابن دقماق، والمقريزي، وعلي باشا مبارك.

٢- بستان الحبانية، بجوار بركة الفيل خارج القاهرة، ذكره المقريزي، وعلي باشا مبارك.

٣- قيسارية الشرب أو الشراب بالقاهرة، ذكرها المقريزي، وعلي باشا مبارك.

٤- أبو رويش، من الأعمال الجيزية، قال ابن الجيعان: «مساحته ٥٨٠ فدانًا عبرته ٣٠٠٠ دينار، كان في الأملاك الشريفة، والآن وقف الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء...»[٨٦].

٥- أبو كعب، قال ابن الجيعان: «مساحتها ٧٨٨ فدانًا، عبرتها ٣٠٠٠ دينار، كانت باسم المقطعين، والآن وقف الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء»[٨٧].

٦- ميانة سلقوس، قال ابن الجيعان: «مساحتها ٢٢٥٠ فدانًا بها رزق ٣٠ فدانًا، عبرتها ٣٠٠٠ دينار، كانت باسم الأمير أبي بكر بن طاز، والآن وقف الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء»[٨٨].

وقد ذكر عاصم محمد رزق[٨٩] نقلًا عن ابن الجيعان أن من أوقاف الخانقاه: «أبو فار»، و«الأعلام». والصحيح أن ابن الجيعان أورد أن «أبو فار»: «من صفقة منية القائد. عبرته ١٢٠٠ دينار، مساحته ٢٣٠ فدانًا، وقف المدرسة الصلاحية بجوار ضريح الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه»[٩٠].

كما أورد عن «الأعلام»، ما نصه: «الحقوق الواجبة عليها ٢٨١ دينارًا للمقطعين، ووقف المدرسة الصلاحية»[٩١]. ومن ثم، وفي ضوء ما تقدم من نصوص، فإن ما ذكره عاصم محمد رزق غير صحيح، ولا يخص الخانقاه الصلاحية موضوع الدراسة.

الخاتمة والنتائج

بعد دراسة نشأة التصوف وعمارة الخوانق في المشرق الإسلامي قبل وأثناء عصر الدولة النورية من جهة، ثم في مصر أثناء وزارة ثم سلطنة الناصر صلاح الدين من جهة أخرى، ثم الخانقاه الصلاحية (دويرة الصوفية/ خانقاه سعيد السعداء)؛ أول خانقاه للصوفية تشيد بمصر الإسلامية، من الناحيتين التاريخية والآثارية من جهة ثالثة؛ نخلص إلى بعض النتائج، والتي يمكن عرضها على النحو الآتي:

- ألقى الباحث الضوء على أن التصوف، والصوفية، وعمارة الخانقاوات؛ وفدت على مصر بتأثير مذهبي من بلاد الشام، فلا يمكن تصور أن السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبقى مصر بدون خانقاه وصوفية منذ عام (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م)، أي منذ بداية وزارته للخليفة العاضد الفاطمي حتى سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م)، أي بعد سقوط الخليفة العاضد بسنتين، وخاصة في ضوء رعاية وعناية السلطان نور الدين محمود للخانقاوات، والأربطة، والصوفية في الدولة النورية، فقد كان صلاح الدين يحكم مصر نائبًا عن السلطان نور الدين محمود.
- لما كانت الدراسة قد تناولت إشكالية تاريخ تحويل دار سعيد السعداء إلى خانقاه، تلك الإشكالية التي تمثلت في وجود أربعة تواريخ -كما تقدم- فقد رجح الباحث تاريخ سنة (٥٦٥هـ/ ١١٧٠م)، باعتباره تاريخ الوقف الأول على الخانقاه الصلاحية.
- رجح الباحث أن تاريخ سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) يمثل الوقف الثاني على الخانقاه الصلاحية، وليس تاريخ الخانقاه عند إنشائها.
- ألقى الباحث الضوء على أوقاف الخانقاه التي وردت في المصادر سواء من قبل واقفها الأصلي، أو غيره على النحو الآتي:
  ١- ناحية دهمروا، من البهنساوية.
  ٢- بستان الحبانية، بجوار بركة الفيل خارج القاهرة.
  ٣- قيسارية الشرب أو الشراب بالقاهرة.
  ٤- أبو رويش، من الأعمال الجيزية.
  ٥- أبو كعب.
  ٦- ميانة سلقوس.

وفي هذا الإطار أوضح الباحث أن عاصم محمد رزق قد ذكر نقلًا عن ابن الجيعان أن من أوقاف الخانقاه: «أبو فار»، و«الأعلام»، والصحيح أن ابن الجيعان أورد الآتي:

- أن «أبو فار»: «من صفقة منية القائد، عبرته ١٢٠٠ دينار، مساحته ٢٣٠ فدانًا، وقف المدرسة الصلاحية بجوار ضريح الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه».
- وأن «الأعلام»: «الحقوق الواجبة عليها ٢٨١ دينارًا للمقطعين، ووقف المدرسة الصلاحية».
- ومن ثم، فإن ما ذكره عاصم رزق غير صحيح، ولا يخص الخانقاه الصلاحية.

الهوامش

* أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية، جامعة الزقازيق.

(١) ذكر ابن منظور: «خنق: الخنق، بكسر النون: مصدر قولك خنقه يخنقه خنقًا وخنقًا، فهو مخنوق وخنيق... والخناق الخيل الذي يخنق به. والخناق: ما يخنق به. والخناق: نعت لمن يكون ذلك شأنه وفعله بالناس... والمختنق: المضيق... والخانق: مضيق في الوادي. والخانق: شعب ضيق في الجبل، وأهل اليمن يسمون الزقاق خانقًا...»، ولم يرد في هذا الصدد لفظ خانقاه عند ابن منظور، انظر: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت ٧١١ هـ)، **لسان العرب**، مج. ٥ (بيروت: دار صادر، ٢٠١٤): ١٧١.

(٢) محمد محمد أمين، وليلى علي إبراهيم، **المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ) (١٢٥٠-١٥١٧م)** (القاهرة: دار النشر بالجامعة الأمريكية، ١٩٩٠): ٣٩.

(٣) تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الحسيني العبيدي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ)، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المعروف بالخطط المقريزية**، ط. ٢، مج. ٢ (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧): ٤١٤.

(٤) الرباط لغة: من ربط، ربطه: شده، وربط الدابة: شدها بالرباط، والمربط هو الحبل، والرباط ما ربط به، وجمعها ربط، والرباط: تعني المواظبة على الأمر، وهو ملازمة الثغر، ومن الناحية المعمارية عبارة عن نوع من الثكنات والأبنية العسكرية التي كان يرابط فيها المجاهدون على حدود الدولة وثغورها لحمايتها من الأعداء، فلما زالت عن هذه الأربطة صفتها الحربية صارت بيوتًا للعبادة يسكنها الزهاد وأهل التصوف. لمزيد من التفاصيل، انظر: حسن الباشا، **مدخل إلى الآثار الإسلامية** (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٩): ١٦٩؛ وفاء السيد أحمد شرف المصري، **المصطلحات المعمارية بوثائق الوقف المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م): دراسة أثرية حضارية** (رسالة دكتوراه، جامعة سوهاج. كلية الآداب. قسم الآثار الإسلامية، ٢٠٠٧): ٥٢٦. انظر أيضًا:
Keppel Archibald Cameron Creswell, *A Short Account of Early Muslim Architecture* (Cairo: The American University in Cairo Press, 1989): 287.

(٥) المصري، **المصطلحات المعمارية بوثائق الوقف المملوكية**: ٣٨١-٣٨٥.

(٦) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج.٢: ٤١٤.

(٧) المرجع السابق.

(٨) دولت عبد الله عبد الكريم، **الخوانق في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي** (رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة. كلية الآداب، ١٩٧٣): ١٠. ذكرت دولت عبد الله أن العلماء قد اختلفوا حول اشتقاق كلمة «صوفي»، حتى إن الإمام القشيري تصدى لمناقشة هذا الموضوع، وأورد كل الوجوه المحتملة لها، ثم رجح اشتقاقها إلى لبس «الصوف»، وأضافت فيما يتعلق ببدء استعمال هذه الكلمة أن أول مؤلف عربي استعمل هذه الكلمة هو الجاحظ البصري عند كلامه عن «النساك»، وذكر كثير منهم ممن اشتهروا بالفصاحة، ثم عم استعمال كلمتي «صوفي» و«تصوف» في أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

(٩) أبو عبد الله محمد بن سعد بن مَنِيع الزهري الهاشمي (ت ٢٣٠ هـ)، **الطبقات الكبرى**، مج. ٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦): ٣٧٦.

(١٠) اختلف علماء الغرب في مصدر التصوف، فمنهم من قطع بأنه هندي الأصل، ومنهم من نسب مصدره إلى إيران، وعند بعضهم أنه نشأ مع الأفلاطونية الحديثة، ومنهم من قال إنه يرجع إلى تعاليم النبي ﷺ. لمزيد من التفاصيل، انظر: عبد الكريم، **الخوانق في مصر**: ١١-١٢.

(١١) المرجع السابق: ١٢-١٣.

(١٢) عبد الله كامل موسى، **العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي** (الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠١٨): ١١١-١١٣.

(١٣) عبد الكريم، **الخوانق في مصر**: ١٣.

(١٤) المرجع السابق: ١٤.

(١٥) المرجع السابق: ١٥.

(١٦) أبو الحسين محمد بن أحمد بن جُبَيْر بن سعيد بن جُبَيْر بن محمد بن مروان بن جُبَيْر الكناني البلنسي (ابن جُبَيْر الأندلسي، ت ٦١٤ هـ)، **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك: المعروف برحلة ابن جبير** (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٦): ٢٣١.

(١٧) عبد الكريم، **الخوانق في مصر**: ١٥-١٧.

(١٨) عاصم محمد رزق، **خانقاوات الصوفية في مصر: في العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٧-٩٢٣هـ/ ١١٧١-١٥١٧م)**، مج. ١، صفحات من تاريخ مصر ٣١ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧): ٣٢.

(١٩) المرجع السابق:٢٣.

(٢٠) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان البرمكي (ت ٦٨١ هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: يوسف علي طويل، ومريم قاسم طويل، مج. ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨): ٢٤٠.

(٢١) المرجع السابق: ٢٤٠؛ حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، مج. ٤ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١): ٦٨-٦٩.

(٢٢) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج. ١: ٢٧٢-٢٧٥؛ حسن، **تاريخ الإسلام**، مج. ٤: ٦٩-٧١.

(٢٣) مزيد من التفاصيل التي تتعلق بعماد الدين زنكي حتى مقتله في سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، انظر: المرجع السابق: ٧٢-٧٦.

(٢٤) المرجع السابق: ٧٦-٧٧.

(٢٥) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ابن الأثير، ت ٦٣٠ هـ)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، مج. ٩ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧): ٣٩٣-٣٩٥.

(٢٦) أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (أبو شامة المقدسي، ت ٦٦٥ هـ)، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، مج. ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢): ١٠٥-١٠٦.

(٢٧) المرجع السابق، مج. ٢: ١٧٣.

(٢٨) المرجع السابق، مج. ١: ١٠٨-١٠٩.

(٢٩) سعيد عبد الفتاح عاشور، **الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى**، مج. ١ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٦): ٥٢٩-٥٣٢.

(٣٠) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد ابن عتاب الأسدي الحلبي الموصلي (ابن شَدّاد، ت ٦٣٢ هـ)، **سيرة صلاح الدين: أو النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق جمال الدين الشيال، الذخائر ٨٢ (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢): ٣٦.

(٣١) عاشور، **الحركة الصليبية**، مج. ١: ٥٣٢-٥٣٣.

(٣٢) ابن شداد، **سيرة صلاح الدين**: ٣٧.

(٣٣) المرجع السابق: ٣٩.

(٣٤) المرجع السابق: ٤٠.

(٣٥) المرجع السابق: ٤١.

(٣٦) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ١: ٣٦٤.

(٣٧) عبد الكريم، **الخوانق في مصر**: ٣٤-٣٥.

(٣٨) أحمد فكري، **مساجد القاهرة ومدارسها**، مج. ٢، **العصر الأيوبي** (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٨): ١١-١٣. انظر عن القاهرة:
Egypt. Ministry of Culture. Supreme Council of Antiquities, *Historic Cairo* ([Cairo]: Supreme Council of Antiquities, 2002): 22.

(٣٩) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن سيف الدين تغري بردي الأتابكي اليشبقاوي الظاهري (ت ٨٧٤ هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مج. ٦ ([القاهرة]: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، [١٩٦٣]): ٣.

(٤٠) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج. ٥: ٥٥٦.

(٤١) أيمن فؤاد سيد، **الدولة الفاطمية في مصر: تفسير جديد** (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٠): ٣٠٤. رحبة باب العيد: سميت بذلك لأنها كانت واقعة تجاه باب العيد أحد أبواب القصر الكبير، وهذه الرحبة كانت تقع في المنطقة التي تحد اليوم من الغرب بشارع حبس الرحبة، وشارع بيت المال، ومن الجنوب بشارع قصر الشوك (درب السلامي قديمًا)، ومن الشرق حارة قصر الشوك (درب ملوخيا قديمًا)، ومن الشمال حارة الزاوية، وحارة المبيضة (درب خرائب تتر قديمًا)، انظر: ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٥٠، هامش ٢.

(٤٢) جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين بن أبي بكر ابن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي (ت ٩١١ هـ)، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، تحقيق خليل المنصور، مج. ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧): ٢٢٤.

(٤٣) المرجع السابق: ٢٢٦.

(٤٤) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج.٢: ٤١٥.

(٤٥) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، مج. ٤: ٥٠-٥١.

(٤٦) المرجع السابق، مج. ٦: ٥٥.

(٤٧) عند دولت عبد الله (٥,٨٠م).

(٤٨) عبد الكريم، **الخوانق في مصر**: ٤٣-٤٤؛ رزق، **خانقاوات الصوفية**، مج. ١: ١٥٣-١٥٤.

(٤٩) عند دولت عبد الله (١٦,٣٠م).

(٥٠) عند دولت عبد الله (١١,٦٥).

(٥١) عند دولت عبد الله (١,٣٠م).

(٥٢) عند دولت عبد الله (٨٠سم).

(٥٣) رزق، **خانقاوات الصوفية**، مج. ١: ١٥٥-١٥٦.

(٥٤) المرجع السابق: ١٥٦.

(٥٥) عند دولت عبد الله (١٨,١٠م).

(٥٦) عند دولت عبد الله (١١م).

(٥٧) رزق، **خانقاوات الصوفية**، مج. ١: ١٥٧-١٥٨.

(٥٨) المرجع السابق: ١٥٨.

(٥٩) عند دولت عبد الله (١٧,٢٠م).

(٦٠) عند دولت عبد الله (١٠,٣٥م).

(٦١) رزق، **خانقاوات الصوفية**، مج. ١: ١٥٦-١٥٧.

(٦٢) علي مبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، مج. ٦ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٤): ١٩٨.

(٦٣) المرجع السابق، مج. ٦: ١٩١.

(٦٤) المرجع السابق: ١٩٢.

(٦٥) المرجع السابق: ٢٠٤.

(٦٦) المرجع السابق: ١٩٥.

(٦٧) محمد سيف النصر أبو الفتوح، **منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك** (رسالة دكتوراه، جامعة أسيوط. كلية الآداب، ١٩٨٠): ٢٥٢.

(٦٨) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج.٢: ٤١٥.

(٦٩) أبو الفتوح، **منشآت الرعاية الاجتماعية**: ٢٥٥.

(٧٠) صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي القاهري (ابن دُقْماق، ت ٨٠٩ هـ)، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار: في تاريخ مصر وجغرافيتها**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، مج. ٥ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٠٠): ٨.

(٧١) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٤: ٢١١.

(٧٢) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج.٢: ٤١٥. انظر عن هذا التاريخ أيضًا: Organization of Islamic Capitals and Cities, *Principles of Architectural Design and Urban Planning during Different Islamic Eras: Analytical Study for Cairo City* (Jeddah, 1992): 87.

(٧٣) السيوطي، **حسن المحاضرة**، مج. ٢: ٢٢٦.

(٧٤) مبارك، **الخطط التوفيقية**، مج. ٦: ١٤٤.

(٧٥) عبد الكريم، **الخوانق في مصر**: ٤٣.

(٧٦) رزق، **خانقاوات الصوفية**، مج. ١: ١٢٩.

(٧٧) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤١٥.

(٧٨) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مج. ٩: ٣٨٥–٣٨٦.

(٧٩) أبو شامة المقدسي، **كتاب الروضتين**، مج. ٢: ٩٠.

(٨٠) المرجع السابق: ٩٠.

(٨١) المقريزي، **الخطط المقريزية**، مج. ٢: ٤١٥.

(٨٢) المرجع السابق.

(٨٣) المرجع السابق: ٢٧٧.

(٨٤) محمد عبد الستار عثمان، **موسوعة العمارة الفاطمية**، مج. ١، **العمارة الفاطمية: «الحربية – المدنية – الدينية»** (القاهرة: دار القاهرة، ٢٠٠٦): ٢٩٦؛ محمد مصطفى محمد غراب، **العمارة الدينية الفاطمية بمدينة القاهرة في ضوء المذهب الإسماعيلي (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م)** (رسالة ماجستير، جامعة طنطا. كلية الآداب، ٢٠١٧): ١١٧–١٢٠.

(٨٥) شرف الدين أبو زكريا يحيى بن المقر بن شاكر بن عبد الغني بن شاكر ابن ماجد (ابن الجيعان، ت ٨٨٥ هـ)، **كتاب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية** (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٧): ١٦٦.

(٨٦) المرجع السابق: ١٣٩.

(٨٧) المرجع السابق: ١٥٩.

(٨٨) المرجع السابق: ١٧٣.

(٨٩) رزق، **خانقاوات الصوفية**، مج. ١: ١٣١.

(٩٠) ابن الجيعان، **التحفة السنية**: ١٣٩.

(٩١) المرجع السابق: ١٥٢.

شارع الجمالية ومئذنة خانقاه بيبرس الجاشنكير، نقلًا عن بيتر كورنبك.

شارع الجمالية، نقلًا عن والتر فرديرك.

The Memory of Arabs

Peer-reviewed Journal – Eighth Edition – 2024

ISSN 2735-4210

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية